

٢٠

منفذ المستنقيل

عن رواية

رواية

عن رواية



النار الباردة



www.helmelarab.net

١ - عالم يحترق ..

انطلق صوت الدكتور (حسن حسّان) ، عالم الطاقة الذريّة المصري المعروف ، مجلجلاً وسط معمله في هيئة الطاقة الذريّة المصرية ، وهو يصرخ غاضباً في وجه مساعده الدكتور (محمد العفيفي) :

— خطأ يا أستاذ ... خطأ .. حتى ولو كان الكمبيوتر فهو خطأ ..

أجابه الدكتور (محمد العفيفي) ، في هدوء من اعتاد ثورات أستاذه :

— لقد قضيت ليلتين كاملتين أدرس حسابات الكمبيوتر يا أستاذي و

قاطعه الدكتور (حسن) في صوت هادر :

— ولو .. حتى لو كنت قضيت شهراً كاملاً ، فلست أؤمن بما تقول .. لا بدّ لك أن تعيد حساباتك مرة أخرى .



سلى



نور الدين



محمود



رمزي

تهنّد الدكتور (محمد العفيفي) ، وعاد يقول في عناده
الذى اشتر به داخل هيئة الطاقة الذرية :

— حساباتي سليمة للغاية يا سيدي .. إن مفاعل
(الإسكندرية) الذري على وشك الانفجار ، ما لم نسرع
بتلافي الخطأ .

نظر الدكتور (حسن) إلى مساعدته نظرة قاسية
محتدة ، حتى تحلّ للدكتور (محمد) أنه سيضعفه على
وجهه صدمة قوية ، ولكن ملاحظ الدكتور (حسن) لم تلبث
أن لانت ، واكتسب بالتفكير العميق والشروء ، كدأبه
كلما أعاد التفكير في أمر ما ، وقال في بطنه ، وهو يضغط
كل حرف من حروف كلماته :

— حسنا يا (عفيفي) .. سأعيد دراسة تقريرك .
ثم عاد يصرخ في حدة :

— والآن اغرب عن وجهي لأعمل في هدوء .
ابتسم الدكتور (محمد العفيفي) ، وهو يستدير
منصرفا ، فقد كان يعلم مدى طيبة وعبقورية أستاذه ، ومدى

اهتمامه بالحقائق ، برغم حذته الطبيعية التي تثير غضب كل
من يتعامل معه .

ولم يكذ الدكتور (محمد العفيفي) يغادر معمل
أستاذه ، حتى التقى بزميله الدكتور (سمير صبحي) ،
الذي استقبله ضاحكا ، وهو يقول :

— هل طردك العجوز مرة أخرى من معمله ؟
ضحك الدكتور (محمد) ، وهو يقول :

— إنه عبقري يا صديقي ، وللمعاقرة شذوذهم .
استغرق الدكتور (سمير) في الضحك ، قبل أن يقول :

— ولكن العجوز ملء بالشذوذ .. إنه غاصب ثائر
دائما ، حتى أنني أخشى أن يحرقه غضبه هذا ذات يوم .

ابتسم الدكتور (محمد) ، وهو يلوح بكفه قائلا :
— هذا إذا لم تحرق نحن أولا .

وفجأة .. وصل إلى مسامعهما صوت الدكتور
(حسن) ، يأتي هادرا من خلف باب معمله المغلق ، وهو
يصرخ في غضب :

— ماذا يعنى هذا بحق السماء ؟

وأعقب ذلك صوت يشبه الفحيح ، ثم سكون مطبق ،
ظل علما الذرة يتبادلان نظرات الدهشة بعده عدة ثوان ،
قبل أن يغمم الدكتور (سمير) فى قلق :

— ماذا حدث ؟

استدار الدكتور (محمد) ، وأسرع الخطا نحو معمل
أستاذه ، وهو يقول فى توتر :

— وهذا الصوت العجيب ؟.. ماهو يائرى ؟

لحق به الدكتور (سمير) وهو يفتح باب المعمل ،
واندفع كلاهما إلى الداخل ، ثم توقفوا فى مزيج من الدهشة
والخيرة ، يتأملان المعمل الخالى ، وتعم الدكتور
(عفيفى) :

— أين الأستاذ ؟.. ماذا حدث فى المعمل ؟

أسك الدكتور (سمير) ذراع زميله ، وهو يقول فى
خوف خفى :

— هل تشم هذا ؟.. هناك ما يشبه رائحة الشواء -

غمم الدكتور (محمد) فى دهشة ، وهو يتقدم إلى
حيث كان يقف أستاذه :

— شواء ؟!!.. هذا صحيح ، ولكن ...

وفجأة .. تسرّ فى مكانه وهو يخدق فى الأرض
بذهول ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتدلّت فكّه
السفل بشكل يشف عن الفزع والذهول .. أسرع إليه
الدكتور (سمير) ، وهو يسأله فى دعر :

— ماذا حدث ؟.. ماذا نرى ؟

ثم تسرّ بدوره وهو يخدق فى الشيء نفسه الذى ينظر
إليه زميله .. فهناك حيث كان يقف الدكتور (حسن) ،
استقر زوج من الأحذية .. نفس الحذاء الذى كان يرتديه
الأستاذ ، ويدخله جزء محترق من قدم بشرية ، وبقايا
جورب أتت النيران على معظمه ، وحول الحذاء تناثرت
بضع ذرات من الرماد فقط .. ولا شيء غير ذلك ..
غمم الدكتور (حسن) ، وهو يتعلّق بذراع زميله فى
رعب :

٢ - رماد الموت ..

الحنى الرائد (نور الدين محمود) ، يتأمل الحذاء والجوارب المحترقين في ذهشة ، والتقى حاجباه فوق أنفه ، وهو يعرض شفته السفلى في خيرة ، ويمد يده محاولاً لمس بقايا القدم المحترقة ، ولكنه لم يلبث أن أعاد يده إلى جانبه ، وعرض يتأمل جوانب العمل الذي شهد الحادث الغامض ..

كان المكان عبارة عن معمل أبحاث تقليدي يفصل بالأجهزة الحديثة ، وشاشات الكمبيوتر المختلفة ، بالإضافة إلى لوح أسود ضخيم ، يملأ جانب المعمل تقريباً ، وفوقه بضعة معادلات متراصة بشكل غير منظم ، ومخطوطة بالطباشير الأبيض ..

وكان للمعمل بابان أحدهما يؤدي إلى الممر الخارجي ، والآخر إلى غرفة جانبية ، اعتاد الدكتور (حسن) النوم فيها إذا ما استغرقه العمل ، أو انهلك في دراسة معادلاته



— يا إلهي !! لقد حدث ما كنا نتذر به منذ لحظات ..
لقد احترق الرجل .. احترق حتى قدميه !!



المعقدة ، ولكل من الغريتين نافذة زجاجية سمكة ، تطل
على الحديقة الخارجية لبني هيئة الطاقة الذرية .

الضئ (نور) يتأمل الشاب الضخم الجثة ، العريض
المنكين ، البالغ الطول ، الذي يقف على مقربة منه ، وفوق
وجهه الحليق ذي الملامح الواضحة الطيبة ، ومناظره الطي
السميك ، وشعره غير المنسق ، تبدو علامات حزن عميق
صرخ ، حتى أن (نور) وجد لهجة تميل إلى المواساة وهو
يسأله :

— هل اعتاد الدكتور (حسن) قضاء بعض لياليه هنا ؟
نظر إليه الدكتور (محمد العفيفي) في حزن ، ومضت
بضع ثوان قبل أن يجبه قائلاً :

— بل قل معظم لياليه ، فلقد كان (رحمه الله) غير
متزوج ، وقد وهب حياته كلها لأبحاثه في مجال الذرة ،
حتى أنه رفض يوماً الحصول على جائزة (حورس) للعلم ،
أو جائزة (نوبل) ... لم يكن يؤمن بالجوائز في العلم ،
ولطالما قال إن الجائزة الوحيدة هي نجاح أبحاث العالم ،
وتطبيقها في الحياة العملية .

أشاح (نور) بوجهه ، وقال وهو يحط شفتيه :

— لم يكن الوقت بعد للاعتراف بوفاة الدكتور
(حسن) يا دكتور (محمد) .

نظر إليه الدكتور (محمد العفيفي) في دهشة ، وهو
يغمغم :

— ماذا تعني أيها الرائد ؟

هز (نور) كفيه ، وهو يقول :

— إن حذاء لامعا ، وجورتا نصف محترق ، وبقايا قدم
بشرية التهمت النيران ، ليست دليلاً على وفاة رجل لامع ،
مثل الدكتور (حسن حسان) .

ظل الدكتور (محمد) ينظر إلى (نور) في دهشة بعض
الوقت ، ثم غمغم :

— أتعشتم من كل قلبي أن تكون محققاً أيها الرائد .

قال (نور) ، وهو يعود إلى أبحاثه لقصص الحذاء
والبقايا الضيقة :

— سيوضح كل شيء عما قريب يا دكتور (محمد) .

ثم أردف ، وهو يشير إلى الأرض والأجهزة القريبة :
— إن ما ينير دهشتي ، هو كيف يحترق رجل بأكمله ،
دون أن يترك سوى بضع ذرات من الرماد ، وبقايا قدم
محرقة ، وجوارب وحذاء لامع ، على حين لا تصاب الأرض
والأجهزة القريبة منه بأية آثار للاحتراق ، أو حتى لمسيس
من النيران ؟

مطّ الذكور (محمد) شفّيته بدوّره ، وهو يقول :
— يلوح لي أنني قرأت يوماً عمّا يشبه ذلك .
تقرّس (نور) ملامح الذكور (محمد العفيفي) في
إمعان ، ثم قال :
— الأمر يحتاج إلى بعض المتخصصين يادكتور
(محمد) .

سأله الذكور (محمد) :
— أئني متخصصين تعنى أيها الرائد ؟
قبل أن يجيبه (نور) ، دخل الذكور (سمير صبحي)
بجسده الضئيل النحيل ، ولحيته الضخمة الكثّة ، وعينه
الزرقاوين الواسعتين ، وشعره القصير الخفيف قانلاً :

— لقد وصل خير الطب الشرعي ، الذكور (محمد
حجازي) أيها الرائد .

تهدّ (نور) في ارتياح ، وقال وهو ينظر إلى الذكور
(محمد العفيفي) :

— هذا هو من أعنى بالمختصّين يادكتور
(محمد) .. ستري كم سيخطف الأمر ، بعد أن يُدلي
الذكور (حجازي) برأيه .

فحص الذكور (محمد حجازي) البقايا في عناية ،
دون أن يرفعها من مكانها ، ثم غمغم في اهتمام :
— يا إلهي !! إنه ذلك الاحتراق الذاتي اللعين .
غمغم (نور) في دهشة :
— الاحتراق الذاتي !!!

قال الذكور (حجازي) ، وهو يُولى البقايا المحرقة
اهتمامه :

— نعم يا بني .. (النار الباردة) التي استغرق سرّها على
العلماء والأطباء منذ عشرات السنين .

عاد (نور) يفهم ، وقد تصاعدت دهشته :

— نار باردة ١٢... ماذا تقصد بهذا القول يا سيدي ؟

صمت الدكتور (حجازي) بعض الوقت ، وهو

يتأمل الدهشة الواضحة على وجه (نور) ، ثم قال :

— النار الباردة مجرد مصطلح ، يطلقه الأطباء

والعلماء على حوادث الاحتراق الدّاق هذه يا (نور) ،

فقد واجه هذا اللّغز علماء العالم منذ زمن طويل ، حيث

وجدت حالات عديدة ، احترق أصحابها تماماً ، دون أن

يتحركوا سوى بقايا محترقة ، وقليل من ذرات الرماد ، ودون

أن تصاب الأجزاء المحيطة بهم بأذى سوء ، بل إن هناك حالة

سجلتها مراجع الطب الشرعي منذ عام ألف وتسعمائة

وسنة وخمسين ، احترقت فيها سيّدة عجوز حتى أسفل

ركبتها بفضة ستيمترات ، وهي تجلس فوق مقعد خشبي ،

دون أن يصاب المقعد نفسه بخدش واحد ، أو تبدو عليه

حتى آثار الثّيران ، ودون أن يبقى مما احترق منها سوى بضعة

ذرات من الرماد ، ولدى عدّة صور التّقطيع مصورو

الشّرطة إبان الحادث .

قال (نور) ، دون أن تتبدّد دهشته :

— ولكنّ هذا عجيب للغاية يا سيّدي .

ابسم الدكتور (حجازي) اسماة شاحبة ، وهو يقول :

— ولكنه حقيقي للأسف يا بني .

اختفت دهشة (نور) فجأة ، وحلّ محلّها ذلك العناد

الذي اشتهر به ، وهو يقول :

— ربّما يتعلّق الأمر بأشعة اليّزر أو

قاطعته الدكتور (حجازي) ، قائلاً :

— لقد بدأ تسجيل حالات ضحايا (النار الباردة) قبل

كشف اليّزر بسنوات عديدة يا (نور) .

ظهرت الخيرة على وجه (نور) لحظات ، ثم استدار

يسير في أرجاء المعمل ، حتى وصل إلى النافذة الكبيرة ،

فطلّع من خلالها إلى حديقة الهيئة الخلفية ، وإلى العمارة

الضخمة الملاصقة لها ، وهو يفكر في شيء ما ، ثم التفت إلى

الدكتور (محمد العفيفي) ، وسأله في اهتمام :

— أمفوتحة كانت هذه النافذة أم مغلقة ، حينما كنت

تتحدّث إلى الدكتور (حسن) ، قبل وفاتنا يا دكتور (محمد) ؟

نظر إليه الدكتور (محمد) في دهشة ، وكأنما بدا له هذا السؤال غيًّا وسط الأحداث ، ولكنه لم يلبث أن أجاب في استخفاف واضح :

— لست أذكر هذا أيها الرائد .. إننى لم أنتبه إلى كون النافذة ...

قاطعته (نور) في لهجة بدت محتدة ، وهو يقول :

— حاول أن تتذكر يا دكتور (محمد) .. تهمنى إجابة هذا السؤال جدًا .

قلب الدكتور (محمد) كفيه في خيرة ، وهو يقول :

— لست أذكر في الواقع ..

بدا الغضب على وجه (نور) ، ولكن الدكتور (سمير)

أسرع يقول :

— كانت مفرحة أيها الرائد .

الفت إليه (نور) بحركة حادة ، قائلاً :

— كيف عرفت يا سيدي ؟

ارتبك الدكتور (سمير) لحظة ، ثم استعاد ثباته وهو يقول :

— إننا في شهر أغسطس أيها الرائد ، ومعمل الدكتور

(حسن) في الناحية الجنوبية من الهيئة ، وهو يكره استخدام

أجهزة التكيف ، لما تصنعه من ضوضاء ، ويفضل فتح

النافذة عن آخرها .. إنها عاداته منذ سنوات أيها الرائد .

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفهي (نور) ، وهو يسأل :

— عجباً !! رجل يكره الضوضاء ، ثم يفتح نافذة

معمله عن آخرها ، برغم أنه يعمل في الدور الأرضي ؟ .. إلى

تكون مصدرًا للضوضاء في حد ذاتها ؟

قال الدكتور (حسن) في برود :

— كلاً بالطبع .

سأله (نور) في حدة :

— ولم لا ؟

ابسم الدكتور (سمير) ، وهو يقول في لهجة أقرب إلى

السخرية :

— باختصار .. لأن المعمل يبعد مائة متر تقريباً عن

أقرب طريق مطروق ، فهو يظل على الحديقة الخلفية في

منتصف الهيئة تمامًا ، والجزء الخاط بالحديقة يفصلها تقريبًا
عن باقي المنى ، ولا يرتادها سوى البستاني مدة ساعة
واحدة يوميًا ، تنهى قبل استيقاظ أو قدوم الدكتور
(حسن) ، ثم إن الحديقة نفسها تنتهى بجانب المنى ، الذى
تراه من النافذة ، وهو كما ترى خال من النوافذ فى هذه
الناحية بالذات .

قُطِب (نور) حاجبه ، وهو ينصت إلى الدكتور (سمير)
فى اهتمام ، حتى انتهى من حديثه ، ثم غمغم فى شروء :
— هذا يعنى أن الحديقة تعتبر معزولة تقريبًا عن باقي
المكان .

ثم التفت إلى الدكتور (محمد العفيفى) ، وسأله :
— من يعمل أيضًا فى هذا الطابق ، بالإضافة إليك وإلى
الدكتور (سمير) ؟

مطَّ الدكتور (محمد) شففيه ، وهو يقول :
— (إبراهيم سرحان) و (نادر فهم) فقط .. إنهما
فَتَيَان من فُتَى الهيئة ، يقومان بإعداد الأجهزة للعمل .

استدار (نور) نحو الدكتور (حجازى) ، وسأله فى
حماس :

— هل يمكنك دراسة البقايا المحترقة هنا ، وإعطائى
تقريرًا سريعًا ، حتى يصل فريقى ياسيدى ؟
هزَّ الدكتور (حجازى) كفيه ، وقال :
— بالطبع ، إذا ما توافرت بعض الأدوات ،
وميكروسكوب إلكترونى أو أيونى .

قال الدكتور (محمد) ، وقد انتقل إليه حماس (نور) :
— مسجد كل ما تريد فى قسم دراسة آثار الإشعاع على
الحيوانات ياسيدى .

ابسم الدكتور (حجازى) ، وقال :
— فى هذه الحالة يمكننى إعطاؤك التقرير ، فى زمن
لا يتجاوز الساعتين يا (نور) .

صاح (نور) فى حماس :
— هذا رائع .. سأطلب عدم السماح بمغادرة المنطقة ،
حتى بالنسبة لسكانها ، طوال هاتين الساعتين .

نظر إليه الجميع في دهشة، على حين سأله الدكتور
(حجازي) :

— ماذا تحاول أن تثبت يا (نور) ؟
أجابه وهو يضغط أزرار (التليفيديو)، في سرعة
وحماس :

— أحاول إثبات أن الدكتور (حسن حسّان) لم
يحترق، بل اختطف ياسيدي .



٣ — نهاية عالم ذرة ..

هز الطيب النفسي (رمزي) رأسه، وقال في لهجة نوحى
بالشك :

— اختطاف ١٢ .. هذا يبدو لي عجيباً أيها القالد
خاصة وأنتى قرأت كثيراً عن (النار الباردة)، والاحتراق
الذائق هذا، وأميل إلى الاقتناع بالنظرية التى تسبب ذلك
للعصية المفرطة، أو تعاطي الكحوليات بإسراف .

قال (نور) في عصبية :

— مادام الجميع يعلمون ذلك، فمن الطبيعى أن
يستغله المختطفون أيضاً، لتغطية فعلتهم .

تردّدت (سلوى) لحظة قبل أن تقول :

— هذا يتوقف على وجود ما يدل على ذلك يا (نور) .
أشاح (نور) يديه، قائلاً :

— إذا كنت تقصددين الدليل المادئى، فهو منعدم تقريباً

يا عزيزي، ولكن برأى تصوّر معين للاختطاف، وإن لم
تكتمل أركانه بعد .

سأله (محمود) في فضول :

— ما تصوّرْك بالضبط أيها القائد ؟

هزّ نور كفيه، وقال :

— ليس بعد يا (محمود) .. سأخبركم بتصوّراتي كاملة ،

بعد أن ينتهي الدكتور (حجازي) من فحص البقايا ، وبعد
أن أستجوب الفتيّين (إبراهيم) و (نادر) .

وفي نفس اللحظة ، سمع الجميع صوت دقات هادئة على
باب المعمل ، انزاح بعده الباب المتحرك . ورأوا شابًا طويل
القامة ، ضيق الكتفين ، حليق الوجه ، له شعر قصير أسود ،
ونظرات فاحصة قوية ، تطلّ من عينيه الضيقتين السوداوين
أسفل حاجبين كثيفين .. تقدّم منهم الشاب ، وتفحصهم
جميعًا في سرعة ، قبل أن يضم كفيه أمام جسده ، قائلاً في
هدوء :

— سمعت أنكم تريدون استجوابي أيها السادة .. اسمي

(إبراهيم سرحان) .

تفحصه (نور) بدوّره ، قبل أن يسأله في برود :

— ما رأيك فيما حدث يا (إبراهيم) ؟

ارتست ابتسامة صفراوية خيثة ساخرة على شفتي

(إبراهيم) ، وهو يقول :

— هل تهوى توجيه أسئلتك بهذه السرعة أيها الرائد ؟

جاوبه (نور) بابتسامة أكثر خيّا وسخرية ، وهو يقول :

— نعم .. حيث لا يكون لدى ما يكفي من الوقت
للمعاملات السخيفة .

اتسعت عينا (إبراهيم) وكأنّ إجابة (نور) قد صدمته ،

ثم لم يلبث أن عاد إلى ابتسامته العجيبة وهو يقول :

— لم لا نتعامل بوضوح أكثر ، فسألني غمّا كنت

أفعله وقت الحادث ؟

هزّ (نور) كفيه، وقال :

— ولم لا ؟ .. إنني أنتظر جوابًا للسؤال الذي وجهته

لنفسك .

مطّ (إبراهيم) شففيه ، وقال في هدوء :

— حسنًا أيها الرائد .. لقد كنت أعيدُ بعض الأجهزة ،

للمعمل في معمل الدكتور (محمد العفيفي)، حينما علمت
بأمر احتراف الدكتور (حسن) ذاتياً.

سأله (نور) في هدوء، وكأنها الأمر لا يعيه كثيراً :
— وهل لديك دليل على ذلك ؟

قال (إبراهيم) في سخرية :
— يمكنك سؤال أجهزة المعمل نفسه ، فلم يكن هناك
سواي .

ساد الصمت التام بعد عبارة (إبراهيم) الساخرة،
وأخذ يتبادل مع (نور) نظرات أبرء من تلوج القطب
الشمالي، قبل أن يقول هذا الأخير :

— حسناً يامسيّد (إبراهيم) .. سأكفي منك بهذا
الحديث .

ودون أن ينطق بكلمة واحدة، استدار (إبراهيم
سرحان)، وغادر الغرفة في هدوء، ولم يكده يغلّق الباب
خلفه، حتى تنهّدت (سلوى) بصوت مسموع، وهي تقول
في ضيق :

— ما أبغضه من رجل !!

قال (رمزي)، وهو يميل برأسه جانباً :

— إنه من ذلك النوع الذي يجمع بين عقدتي
العظمة والشعور بالاضطهاد، فهو يشعر بمهارته في أداء
عمله، ولكنه في الوقت نفسه يعتقد أنه لا يتبوأ المكان
المناسب لخبرته وقدراته، ومثل هذا النوع يواجه
الاستجابات بنوع من التحذى والغطرسة .

ثمغم (نور)، وهو يفكر في عمق :
— ويمكنه أيضاً قتل رجل، فخرّد أنه ثار في وجهه، أو
نعتة بلفظ يكرهه ؟

هزّ (رمزي) كتفيه، وقال :
— هذا جائز، ولكنه غير محتم، فقد ينظر إلى الأمر
بحال .

سأل (محمود) :
— وماذا عن قرار منع السكّان من مغادرة المنطقة ..
لقد أثار الحق والغضب في نفوس الجميع .
صمت (نور) بضع لحظات، ثم قال :

— إنها مجرد ساعات ثلاث يا (محمود) .. هذا كل ما
نجحت في الحصول عليه من المسئولين ، ولم يكن ذلك سهلاً
على الإطلاق .

رفع (رمزي) حاجبيه ، وقال :

— هذا يحتم التوصل إلى الأمر قبل مضي الساعات
الثلاث ، ولا أظن ذلك سهلاً أيها القائد .

نظر (نور) في ساعته ، وقال في هدوء :

— لقد مضت نصف ساعة منذ تطبيق الأمر ، وبدء
الدكتور (حجازي) فحصه للبقايا ، ولقد وعدني بإعطائي
التقرير النهائي بعد ساعتين ، وحينئذ أحصل عليه ستكون
أمامي ساعة كاملة للتفكير ، والتوصل إلى الحل ..

ثم صمت لحظة ، وأردف في ضيق :

— أو الاستسلام .

استغرق الدكتور (محمد حجازي) بكل حواسه في
متابعة الشكل المعقد ، الذي بدا أمامه فوق شاشة

الميكروسكوب الأثوني ، وازدادت حدقاته ضيقاً ، حتى بدا
وكأنه قد استغرق في النوم ، واعتمد بذقنه على إبهام يده
اليسرى ، وهو يغغم في صوت شديد الخفوت :

— عجباً !! هذا الذي أراه يثير الاهتمام بشكل بالغ ..

كيف يمكن أن يقع إنسان في خطأ تافه إلى هذا الحد ..

ثم انحنى وخلع نظاره الطبي ، وهو يتأمل الشاشة عن
قرب ، وعاد يغغم في دهشة :

— يا إلهي !! إن (نور) هذا عبقري ..

وتناول قلمًا قريباً ، وأسرع بخط يضع كلمات فوق ورقة
نصف ممزقة ، بطريقة تدل على الانفعال الشديد ، ثم عاد
يتأمل الشاشة مغمغماً :

— ستذهله هذه الحقيقة .. لقد كان الفتى على حق .

وعاد يتابع ما يدور في انهماك وحاس ، حتى أنه لم
يشعر بالرجل الذي تسلل إلى غرفة الفحص في صمت ،
واقرب منه بخفة فقط ، وحينئذ اعتدل الدكتور (حجازي) في
مقعده ليتابع فحصه للشاشة ، لمح ظل الرجل يقترب ،

فاستدار في حدة محاولاً كشف شخصية المنسل، ولكنه تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه، دارت الغرفة بعدها أمام ناظره، واستبد بها الظلام، قبل أن يفقد وعيه تماماً..

مد المحتدى المجهول يده إلى الورقة التي خطت فوقها الدكتور (حجازي) ملاحظاته، فرفعها وأخذ يقرأها في هدوء، ثم لم يلبث أن انهم في شراسة، ونظر إلى جسد الدكتور (حجازي) الممدد فوق الأرض، وهو يقول في سخرية:

— أكت تنوى تقديم هذا التقرير للشرطي أيها المافون.

يا لك من أبله !!

وفي هدوء شديد أخرج قذاحته، وأشعل النار في الورقة حتى التهمت، ثم ألقاها أرضاً، ومسح بقايا رمادها بمخداته، وعاد يلتفت إلى الدكتور (حجازي)، قائلاً في سخرية:

— معدرة ياخير الطب الشرعي.. الأمور تضطرننا إلى إخفاء معالم الأثر تماماً.



ولكنه تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه، دارت الغرفة بعدها أمام ناظره..

تأمل (نور) الفتى (نادر فهم) في هدوء .. كان شاباً متوسط الطول، له شارب ضخم يغطي معظم وجهه التحيل، وإن بدا قوامه مشوقاً قوياً بسبب تناسق أعضائه، ورياضته الواضحة في وجنتيه القويتين، وجهته العريضة، وكان شعره الناعم الطويل، وعيناه الواسعتان يُضفيان عليه مظهرًا وسيمًا، وهو يقول في هدوء :

— تسألني أين كنت أيها الرائد ؟ .. لحظة الحادث تعنى، أم الآن ؟

قال (نور) في هدوء مماثل :

— أغشى كليهما يا (نادر)، فلقد بحثنا عنك طويلاً نستجوبك عما حدث إبان الواقعة، فلم نجدك، ثم تظهر فجأة، فأين كنت ؟ ابتسم (نادر) قائلاً في هدوء :

— كنت أؤدي عملاً هاماً أيها الرائد .

سأله (نور) :

— وما هو بالضبط هذا العمل ؟

صمت (نادر) لحظة، ثم قال :

— كنت أنسّق مكتب الدكتور (حسن) الخاص و ..

قاطعه (رمزي) قائلاً :

— إما أنك صاحب أقوى أعصاب عرفتها في حياتي، أو أن الأمر لا يعينك كثيراً ياسيد (نادر) .. إذ كيف تهتك في تسيق مكتب رجل، لم تمض على احتراقه ساعتان ؟

صمت (نادر) بعض الوقت، ثم قال :

— هناك أمور يفعلها المرء بحكم العادة ياسيدي .

سأله (نور) في حدة :

— حتى ولو اختلفت العادة بحادث غامض يا (نادر) ؟

نظر إليه (نادر) في برود، وقال :

— ربما كنت أجد في ذلك بعض المواساة أيها الرائد .

قال (نور) بابتسامة غامضة :

— أو بعض الفائدة ياسيد (نادر) .

احتقن وجه (نادر)، وهو يقول في حدة :

— ماذا تعنى أيها الرائد ؟

قبل أن يجيبه (نور) ، اندفع الدكتور (سمير) إلى الغرفة وهو يقول لي قلق :

— ما نوع الفحوص التي يجريها طبيكم الشرعى يا سادة ؟

التفت إليه الجميع في مزيج من الدهشة والقلق ، عل حين سأله (نور) :

— ماذا تعنى بسؤالك هذا يا دكتور (سمير) ؟

ازدرد الرجل ريقه ، وقال في توثر :

— هل يقوم بحرق بقايا القدم ؟

نظر إليه الجميع في دهشة ، وقال (نور) :

— إنه لا يفعل ذلك بالتأكيد ، ولكن ماذا تعنى

بسؤالك هذا ؟

ارتجف جسد الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

— إنه لا يجيب على طرقاتي ، ثم إن هناك .. هناك ..

وظهر بعض التوثر على وجهه ، مما دفع (نور) لسؤال

في عصبية :

— ماذا هناك يا دكتور (سمير) ؟ تكلم ..

قال الدكتور (سمير) في صوت خافت ، تلوح فيه علامات الخوف :

— هناك رائحة شواء تتصاعد من غرفة الفحص :

وكأنما احترق طبيكم الشرعى بدوره أيها السادة !!

* * *



٤ — القتلة ..

قبل أن يُتمَّ الذكور (سمير) عبارته ، كان (نور) قد استلَّ مسدسه الليزرى ، والدفع مغادرًا الغرفة ، وهو يتمم في دُعر :

— لا .. ليس هذا الرجل .. ليس الذكور (حجازى) .

أسرع أفراد فريقه يحاولون اللحاق به ، وهو يصعد في درجات مبنى الهيئة قفزًا ، حتى وصل إلى الطابق الثانى ، حيث غرفة الفحص ، وأخذ يرقب بابها في عصبية ، هائفا باسم الذكور (حجازى) .. ولما لم يلقَ جوائبا ، صوب مسدسه الليزرى إلى الرجاج الإلكتروني ، وأطلق دفعة من أضغته دون تردّد أذاخت الرجاج ، فانزلق الباب من تلقاء نفسه مفتوحا ...

هتف (نور) من أعماق قلبه باسم الذكور

(حجازى) ، ثم الدفع وسط سحابة من دخان كثيف ، تحمل رائحة الشواء إلى الداخل ، وانغنى فوق حشد الذكور (حجازى) يفحصه بسرعة ثم لم يلبث أن هتف فى جزع : — ربّاه !! لقد قطع أحدهم أوردة معصمه .. لقد نزف كثيرا من دمه .

أسرع (همزى) يحاول إيقاف النزيف ، على حين ألقى (نور) نظرة سريعة على المكان وهو يهتف : — ولكن .. رائحة الشواء !! إنها ..

قاطعه الذكور (سمير) ، وهو يشير إلى حيث توضع العيّنات المراد فحصها بالميكروسكوب الأيونى ، ضالّحا : — يا إلهى !! إنها البقايا المحترقة .. لقد أنت عليها النيران .

نظر الجميع إلى حيث أشار الذكور (سمير) ، على حين قال (نور) ، وهو يحرك بقايا الورقة المحترقة بظرف حذائه : — يبدو أن هذا ليس الشيء المحترق الوحيد فى هذه الغرفة يا ذكور (سمير) .

وعاد يتأمل الذكور (حجازي) الفاقد الوعي،
و (رمزي) الذي يحاول إسعافه في اهتمام، ثم أردف في
غضب مكثوم :
— ولكن هؤلاء القتلة قد أخطئوا ، واضطربوا للكشف
عن أنيابهم .

تهنئ (رمزي) وهو يلقي بجسده المنهك فوق مقعد وثير ،
قائلاً :

— أظن أن خيرنا الشرعي سينجو .. لقد فقد الكثير
من دمه ، لكن بنيته قوية ، ولقد أعطيته ما يساعد جسده
على المقاومة .

نظر إليه عالما الذرة والفنيان و (سلوى) و (محمود) في
أسف ، على حين قال (نور) في هدوء :
— هذا من حسن حظ القتلة ، المختطفين ، فلو كانوا قد
أصابوا الذكور (حجازي) بضرر بالغ ، لجعلتهم يمتنون
الموت حين أضع يدي عليهم .

نظر إليه الجميع في دهشة ، وغمغم الذكور (محمد
العقيقي) :

— أما زلت تصرُّ على وجود قتلة ومختطفين أيها الرائد ؟
قال (نور) في هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :
— كل الإصرار يذكور (محمد) .

قال (إبراهيم) في لحظة تحمل بعض السخرية :
— برغم اقتناع الجميع بأمر الاحتراق الذاتي و (النار
الباردة) ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفوي (نور) ، وهو
يقول :

— ربما تفسر نظرية (النار الباردة) اختفاء الذكور
(حسن) ، ووجود بقاياها احترقة يأسيد (إبراهيم) ، ولكن
كيف يمكنها تفسير احتراق البقايا والورق ، وقطع أوردة
معصم الذكور (حجازي) .

التقى حاجبا (إبراهيم) في رفض ، على حين تبادل
الجميع نظرات التساؤل ، وتابع (نور) في هدوء :

— إن للدكتور (محمد حجازي) — كشأن معظم العلماء — عادات ربما تبدو غير طبيعية أو مألوفة بالنسبة لهذا العصر، ولكنها ترتبط بصاحبها، حتى تصبح جزءاً منه ومن شخصيته، ومن هذه العادات أنه حيناً ينهك في فحص جثة، أو بقايا تمثل أهمية بالغة بالنسبة لقضية ما، فإنه ينسى ما حوله تماماً، ويرفض الاستعانة بالتسجيل الصوتي أو الكمبيوتر في أثناء تسجيل ملاحظاته، يصر على كتابتها فوق أية ورقة يجدها إلى جواره، وأحياناً على سطح المائدة، التي يفحص فوقها الأشياء.

قاطعه (نادر)، قائلاً في ضجر:

— هل سنتمع إلى قصة حياة خيركم الشرعى هذا؟
ابتسم (نور) وهو يتأمل ملامحه في صمت، ثم أشاح

بوجهه مسطرداً:

— باختصار.. يمكننى أن أتخيل ما حدث داخل غرفة الفحص.. سأقول إن الدكتور (حجازي) كان منهمكاً في تدوين بعض الملاحظات الهامة والخطيرة، التي وجدها في

البقايا التي يفحصها، حيناً تسأل شخص ما إلى الغرفة، وباعته بضربة قتيّة لا تترك أثراً، ولكنها تلفد الإنسان وعيه.. وقرأ هذا الشخص ما كتبه الدكتور (حجازي)، ثم أحرق الورقة، وسحق رمادها بقدمه، وقطع أوردة معصم الدكتور (حجازي)، ثم أشعل النار في البقايا ليقتضى عليها نهائياً.

كان (نور) يتحدث وهو ينظر إلى الحاضرين، محاولاً فهم انطباعاتهم، ولكن الدهشة ملأت وجوههم جميعاً، حتى انتهى من حديثه، فقال (نادر):

— ولكن لماذا؟.. لماذا يفعل هذا شخص ما؟

قال (نور) في اهتمام:

— لأن الدكتور (حجازي) كشف شيئاً خطيراً يتعلق بالبقايا.. شيئاً يقلب الأمور رأساً على عقب.

سأله (سلوى) في فضول:

— شيء، مثل ماذا؟

صمت (نور) لحظة، ثم قال:

— شيء مثل عدم انتهاء البقايا للدكتور (حسن).

صاح الدكتور (محمد العفيفي) في دهشة :

— ماذا يعني هذا ؟

قال (نور) في استرسال عجيب :

— يعني أن هناك لحظة وضعت بكاء ومهارة،

لاختطاف الدكتور (حسن حسّان) ، من قبل بعض

الجهات التي تعمد حرماننا من تقدّمنا العلمي باستمرار ..

استمعوا إليّ جيّدًا أيها السادة .. إن المنطقة التي تطل عليها

نافذة معمل الدكتور (حسن) حديقة معزولة تمامًا ، فلو

تسلّل إليها رجل وهاجم الدكتور (حسن) فجأة ، وتمكّن

من إلفاده وعيه ، فسيتمكّن من تهريبه عبر الحديقة ، إلى أي

مبنى مجاور .

سأله (رمزي) ، في اهتمام من يتق بقائده :

— وكيف ينجح في ذلك يا (نور) ؟

ابتسم (نور) وقال :

— بل سأخبركم كيف نجح بالفعل في ذلك ، مستغلًا

إجراءات الأمن المعروفة .. لقد تحدّث الدكتور (حسن) مع

مساعدته الدكتور (محمد) في ثورة ، ثم أمره في النهاية أن

يغادر المعمل ، ويتركه يعمل في هدوء ، وبعد انصراف

الدكتور (محمد) ، تسلّل المعتدى إلى المعمل من خلال

النافذة ، ورش بعض الروائح الكيميائية الصناعية التي تشبه

رائحة الثواء ، فتنبّه الدكتور (حسن) إلى وجوده ، وصاح

بالعبارة التي سمعها الدكتور (محمد) والدكتور (سمير)

قائلًا : «ماذا يعني بحق السماء ؟» . وفي تلك اللحظة

ناول المعتدى لكمة أفقدته الوعي ، ووضع البقايا المحترقة في

مكانه ، وحمله إلى غرفته الملحقة بالمعمل ، وأغلقها خلفه

ثمانيًا .. وحينما دخل الدكتور (محمد) والدكتور (سمير)

ورأيا تلك البقايا المحترقة ، وتصوّرا احتراق رئيسهما ، كان

من الطبيعي أن يغادرا المعمل ، ويغلقا بابه خلفهما ، حتى

يحضر رجال الأمن والشرطة .. وهنا تسلّل المعتدى بطبيعته

من خلال النافذة الأخرى إلى الحديقة ، وأسرع بتسليم

الدكتور (حسن) الفاقد الوعي إلى أعوانه ، الذين أخفوه في

مهارة قبل أن تبدأ إجراءات الأمن ، استعدادًا لتهريبه إلى

خارج البلاد ، على حين عاد المعتدى إلى داخل الهيئة ليؤدى

عمله كالاعتاد متظاهراً بالبراءة ، وهو يتصور نجاح مهمته ..
ولكنه حيناً فوجئ بوجود الدكتور (حجازى) وبفحصه
السرّيع للبقايا ، خشي اقتضاح الأمر ، فأسرع يتخلّص من
البقايا ، ومن السجّل الذى دونه الدكتور (حجازى) ،
ومن الدكتور (حجازى) نفسه أيضاً .
قال (إبراهيم) فى جدّة :

— هل تفهم ماذا يعنى تحليلك هذا أيها الرائد ؟

ابسم (نور) فى غموض ، وهو يقول فى برود :

— نعم ياسيد (إبراهيم) .. إنه يعنى ببساطة أن الخائن

وعميل القنطة هو أحد العاملين بهذا الطابق .. إنه أحدهم أيها
السادة !!

٥ — العميل السرى ..

انفجر اتهام (نور) وسط الحاضرين بدوى صامت ،
بدا فوق الوجوه دون أن يغادر الصدور ، إلى أن صاح
الدكتور (سمير) :

— إنه اتهام عنيف أيها الرائد ، وأنت لا تمتلك دليلاً
واحداً يؤيد ما تقول .

هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

— ربّما أن الدليل المادى الوحيد قد احترق ، ولكن
هذا لا يعنى عدم قدرتى على الإيقاع بالخطّفين القنطة ، فما
زالت أمامى ساعة كاملة .

قال (إبراهيم) ، وهو يحطّ شفّيه فى استهتار :

— يمكنك أن تحاول على الأقل أيها الرائد .

على حين صاح (تادر) فى غضب :

— لقد اتهمنا جميعاً أيها الرائد ، وسنقاضيك من أجل

ذلك

لَوْح (نور) بكفه علامة اللامبالاة، وهو يقول :
— المهم أن نجد الدكتور (حسن)، ولنفعل ما تشاء
بعد ذلك ياسيد (نادر).

صاحت (سلوى) في دهشة :
— ولكنك تفقد الدليل هذه المرة يا (نور) .. إنك
لا تعلم حتى لماذا يختطفون الدكتور (حسن) .
وفجأة .. ضرب الدكتور (محمد العفيفي) جبهته
بكفه، صائحاً :

— يا إلهي !! المعادلات ١٢ .. لقد نسيت أمر مفاعل
(الإسكندرية) تماماً .

سأله (نور) في حدة :
— ماذا تعني يا دكتور (محمد) ؟
صاح الدكتور (محمد) في جزع :
— كيف لم أنتبه إلى ذلك في حينه ؟ .. لقد أنساني
الحادث أمر مفاعل (الإسكندرية) النووي .. إن هذا
المفاعل سينفجر، ما لم أجد المعادلات التي سلمتها إلى
الدكتور (حسن) .

ساد الصمت المشوب بالدعر، إلى أن قطعه (نور)
قائلاً في هدوء :

— قُصَّ عليَّ أمر هذه المعادلات يا دكتور (محمد) .
انهار الدكتور (محمد العفيفي) فوق مقعد قريب، وهو
يقول :

— في كل المفاعلات النووية يوجد ما يسمى بنظام
التبريد المستمر، وهو يعتمد على وجود رشاش من الماء
البارد، للمحافظة على درجة حرارة سطح المفاعل
باستمرار، وهذا الماء يتبخّر فور ملامسته السطح، نظراً
لحرارته الشديدة، ويتم تسريب هذا البخار باستمرار،
وبمعادلات ثابتة، حتى لا يؤدي تجمّعه إلى انفجار المفاعل ..
وفي مفاعل (الإسكندرية) حدث خطأ في التسريب
البخاري، ممّا أدّى إلى تجمّع بعض الغازات أو نواتجها
باستمرار، وسيعرّض هذا المفاعل للانفجار فوق تجمّع
ما يزيد على طاقته من الأنفجرة، والغازات .

أمسك (نور) كفيه بيّره بقوة، صائحاً :
— وكيف يمكن منع ذلك ؟

قال في لهجة متخاذلة :

— بالنور على المعادلات التي سجلتها على أسطوانة الكمبيوتر .. إنها الطريقة الوحيدة لإنهاء الموقف ، دون تعريض المنطقة المحيطة بالمفاعل للخطر .

صاح (محمود) :

— ألا يمكن دراسة الأمر مرة أخرى ؟

هز الدكتور (محمد) رأسه في أسف ، وقال :

— لقد استغرق الأمر ليلتين كاملتين في المرة الأولى ، وسيستغرق يوماً على الأقل هذه المرة ، وهذا أكثر مما يمكن أن يحتمله مفاعل (الإسكندرية) قبل انفجاره .

ساد الصمت في الغرفة ، وعقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلاً في صوت خافت :

— إذن ، فهذا هو سبب اختطاف الدكتور (حسن) .
ثم استدار إلى الحاضرين وبينهم رفاقه ، واستطرد في هدوء :

— أراهن أن أمر مفاعل (الإسكندرية) هذا مفتعل أو مدبر ، وهو سبب كل ما يحدث هنا .

هزت (سلوى) رأسها ، وهي تقول في إصرار :

— ولكنك لا تثبتك دليلاً هذه المرة يا (نور) .

ابتسم (نور) قائلاً :

— هذا عالم نعتبر الهجوم على الدكتور (حجازي) دليلاً

باعتزاق .

ثم ابتسم مستطرداً :

— ثم إن هناك ما يسمى بالتخييل المدروس ، أو بمعنى أصح وضع النفس في موقع اختطفين ، وتخييل ما يمكن أن يقدموا عليه .. ولقد أثبتنا هذا الأسلوب يوماً يارفاق^(٥) .

ابتسم (إبراهيم) في سخرية ، وقال :

— وماذا يقول تخيلك الـ ... المدروس هذا أيها الرائد ؟

استطرد (نور) ، متجاهلاً رؤية السخرية في صوت

(إبراهيم) :

— لقد فعلت ذلك حينما علمت بتفاصيل الأمر .. وضعت نفسي في موقع اختطفين ، وأخذت أفكر

(٥) راجع قصة (أشعة الموت) .. المأخرة رقم ١

كيف يمكنني اختطاف عالم مصرى فى ظل هذه الظروف ،
فأوصلنى عقل إلى ما سمعتموه منى منذ لحظات .

الفجر (إبراهيم) فجأة صاحكًا ، وقال بلهجة تشجرت
السخرية فى كل حرف من حروفها :

— يا للتفكير العلمى المنظم !! ومن أين أتى هؤلاء
اضططعون أيها العبقري ؟

ابتسم (نور) ، متجاهلاً اللهجة الساخرة للمرة الثانية ،
وهو يقول فى هدوء :

— لو كنت فى مكانهم ، فسألجأ إلى أقرب بناية ،
لضمان أكبر قدر ممكن من السرية .

وتحرك بضغ خطوات ، مواجهها النافذة الزجاجية
المفتوحة ، وتطلع منها فى صمت بضغ لوان ، ثم أشار إلى

البناية الملاصقة لحديقة الهيئة الخلفية ، وقال فى هدوء :

— بناية مثل هذه مثلاً .
ساد الصمت لحظة ، التفت الجميع خلالها إلى حيث

أشار (نور) ، ثم غمغم الدكتور (محمد) فى صوت
شاحب :

— وكيف يمكنك إثبات فكرتك الجنونية هذه ؟

نظر (نور) فى ساعته ، وقال فى هدوء :

— ما زالت أمامنا خمس وأربعون دقيقة ، قبل انتهاء

حظر مغادرة المكان .. ويمكننا اقتحام المبنى وتفتيشه و ...

قاطعده صوت بارد ، يقول فى لهجة بطيئة :

— إنكم لن تذهبوا إلى أى مكان أيها الرائد .

استدار الجميع فى دهشة إلى مصدر الصوت ما عدا

أحدهم .. كان هو نفسه مصدر الصوت .. وكان يصوب

إليهم مسدسًا ليزريًا قويًا ، وهو يستطرد فى لهجة ساخرة :

— إنها نهاية الرحلة أيها السادة .. وبداية رحلة الانتقال

إلى جنة الأغنياء .

٦ - صراع الأقوياء ..

فتح الدكتور (حسن حسان) عينيه في صعوبة وتراءت له الأجسام والأشياء مضطربة مشوشة بضع دقائق، قبل أن يستعيد عقله صفاءه، ويرى في وضوح رجلين ضخمتي الجثة، لهما ملامح تجمع بين الأوربية والشرقية، يتطلعان إليه في اهتمام واضح، وقد بدا على وجه أكبرهما شيئاً من القلق والتوتر.. قال الدكتور (حسن) في عصبية:

— أين أنا ؟ .. من أننا ؟

أشار الأكبر شيئاً إلى زميله في ضجر، فأسرع هذا الأخير يهدئ من روع الدكتور (حسن)، قائلاً:

— رويدك أيها المصري.. إننا لا ننوي إيذاءك.

تطلع إليه الدكتور (حسن) في دهشة، وهو يغمغم:

— أيها المصري ؟!.. هل يعنى هذا أنكم ما غير مصريين ؟ من أننا ؟

قال الأكبر شيئاً في عصبية:

— صد أيها العجوز الأخرق.. لن أحمل عصيتك الآن.

صاح الدكتور (حسن):

— أنا أيضاً لن أحمل عصيتك أيها الجاسوس الوغد.

لوح الأكبر شيئاً بكفه في ضجر، وقال لزميله:

— أعطه جرعة أخرى من المخدر يا (دافيد).. ذغه بنام حتى ينتهي ذلك الخطر اللعين.

سأله (دافيد)، وهو يتناول أنبوباً رفيعاً له إبرة مدببة قصيرة:

— كم بقي أمامنا يا (شتاين) ؟

نظر (شتاين) إلى ساعته، وقال في توتر:

— أربعون دقيقة تقريباً.

صاح الدكتور (حسن) في تلك اللحظة، وأخذ يب ويلعن حيناً غرس (دافيد) الإبرة في ذراعه، وهو يقول:

— ستحطم أعصابي تماماً، قبل أن تمضي هذه الدقائق.

حاول (شتاين) أن يبدو هادئاً، ولكنَّ العصبية قفزت مع كلماته، وهو يقول :

— سرعان ما تمضى فترة الحظر، وننتقل بهذا العجوز اللعين إلى سفارتنا، ومن هناك يمكننا تهريبه بطريق الشحن الدبلوماسي .. إطمئن يا (دافيد) .. سيسر كل شيء كما خططنا له تماماً .. لا تنس أننا الأقوى .

نظر إليه (دافيد) في شك، ثم غمغم في تخاذل :
— ما دمت تقول هذا فهو حقيقى أيها الرئيس .. اليس كذلك ؟

مطَّ الرائد (نور) شفتيه، وقال في هدوء وهو يتطلع إلى الرجل الذى يصوب إليهم مسدسه الليزرى الضخم :
— لقد حرمتى لذَّة استئاج الحقيقة هذه المرة .. لن أغفر لك هذا يا سيِّد (نادر) .

ابتسم (نادر) في سخرية، وقال :
— ليس إلى هذا الحدَّ أيها الرائد .. لقد استتجت

طريقة الخطف والأسلوب الذى اتبعته فى الهجوم على خيركم الشرعى، فى مهارة تجعلنى أشهد لك بالعقوبة .

قالت (سلوى) فى حدَّة :
— لم نكن ننتظر شهادتك هذه .
ضحك (نادر) ضحكة ساخرة، وقال :
— من يدري ؟ .. ربما نحتاجون إليها فى العالم الآخر يا سيِّدنى .

قال (نور) فى برود :
— كنت سأكشف شخصيتك حتَّى أيها الوغد .
هزَّ (نادر) كتفيه، وقال :

— أشك فى ذلك أيها الرائد، فكل شيء تمَّ إعداده بدقة بالغة .. إننى أعمل هنا منذ عام كامل، متخلاً إسم (نادر فهمي)، وكنت طوال هذه الفترة مثال النزاهة والشرف .. لم يكن بإمكانك كشف شيء واحد .

قال (نور)، وكأنه لم يسمع حديث (نادر) :
— إن حجة تأخرك عن الحضور لم تكن مقنعة ..

بالإضافة إلى أنني لم أشك سوى فيك وفي زميلك (إبراهيم) ،
ولم يكن انتفاؤك من الصَّعب كما تصوّر .

نظر إليه (نادر) بتحدٍّ ، وقال :

— لم تكن لتجد دليلاً واحداً .

ثم صوّب مسدسه نحوهم ، وقال في هدوء وسخوية :
— والآن .. من منكم يفضل الحصول على شرف

البدء ؟

قال الدكتور (محمد العفيفي) في حلق :

— أيها الجاسوس القذر .. إنك لن تقتل أحداً .

ضحك (نادر) ، وقال :

— هكذا ؟ .. فلتكن أنت أول الضحايا إذن .

وفجأة .. اندفع (نور) نحو (نادر) ، وقفز محاولاً ركل
مسدسه ، ولكن (نادر) انحنى جانباً في مهارة المخترفين ،
ورفع ساقيه في رشاقة المقاتلين ، لتغوص قدمه في بطن
(نور) ، الذي شعر بألم شديد ، أعقبته لكمّة في فكّه ،
ألقت به أرضاً ، وسمع (نادر) يصرخ في عصبية وشراسة :



ثم صوّب مسدسه نحوهم ، وقال :

— والآن .. من منكم يفضل الحصول على شرف البدء ؟

— تريد أن تتظاهر بالبطولة ؟ حسنًا سأمنحك شرف البدء أيها الرائد ..

وراه (نور) يضغط زر إطلاق مسدسه الليزري في غضب، وهو يصوبه نحو رأسه، ورأى (رمزي) يندفع نحوه صائحًا :

— لا ليس القائد أيها الجاسوس ..

انطلق شعاع الليزر من أبواب المسدس، وصرخت (سلوى) جرعًا، وقفز (نور) واقفًا على قدميه، ليتلقى جسد (رمزي) بين ذراعيه، ومن صدره يندفع خيط من الدماء الساخنة ..

صاح (نور) في وجه (نادر) :

— أيها القدر .. لقد قتله ..

صرخ (نادر) في شراسة :

— هذا مصيركم جميعًا .. ولكنه أصر أن يكون الأول ..

أطلقت (سلوى) صرخة رعب عالية، وهي تغطي وجهها بكفيها، عندما عاد (نادر) يصوب مسدسه إليهم صائحًا :

— من التالي أيها السادة ؟

وفجأة اندفع الدكتور (حجازي) إلى الغرفة، وخلفه طبيب يحاول منعه، ولكنه صرخ :

— (نور) لن يمكنك أن تصوّر ما كشفت ..

ولكنه لم يلبث أن تجمّد في مكانه، ورأى الجميع الضمادات التي تغطي معصميه، وهو يحدّق في وجه (نادر) ومسدسه، صائحًا :

— يا إلهي !!

وبسرعة استدار (نادر) نحوه، وسلامحه تشقّ عن الوحشية والغضب، وضغط زر مسدسه الليزري ..

٧ — مزيد من الدماء ..

برغم المفاجأة الشديدة التي تعرض لها الدكتور (محمد حجازي)، إلا أن رد فعله كان سريعاً مدهشاً، فقد قفز فجأة إلى اليسار فتجاوزته الأشعة، وأصاب الطيب الذي يقف خلفه محطمة ترقوته ..

وصرخ (نادر) في غضب، وهو يصوب مسدسه ليعاود الإطلاق، ولكن (نور) أطلق فجأة صرخة قتالية قوية، ارتجفت لها أطراف (نادر)، واستدار في سرعة ليلمح (نور) وهو يدفع جسده (رمزي) بعيداً، ويثب كفهد غاضب نحو (نادر)، الذي حاول إطلاق أشعة مسدسه، ولكن (نور) هبط فوقه ليسقط الاثنان أرضاً، وبلتحميا في قتال عييف ..

كان (نادر) هو الأقوى جسداً، ولكن (نور) هو الأكثر غضباً، ولم يلبث أن تخلى من قبضة (نادر) القوية،

وكان له لكمة أودعها حنقه وقوته، وتدققت لها الدماء من فم (نادر) وأنفه، ولكنه حاول توجيه لكمة يستاهل إلى فك (نور)، الذي تفادها بمهارة وهوى على فك (نادر) يمناه، ثم أعقب ذلك بلكمة كالقنبلة، غاصت في معدة الجاسوس الذي تراخت قبضته، وانهال عليه (نور) بلكمات غاضبة قاسية، وهو يصرخ :

— لخذ أيها الجاسوس القدر .. لخذ ..

أسرع الدكتور (محمد العقيقي) نحوه، وجذبه صائحاً :

— كفى أيها الرائد .. ألا ترى أنك ستقتله ؟

توقفت قبضة (نور) في طريقها إلى فك الجاسوس، ونظر إلى الدماء التي تغطي وجهه لحظة، ثم أعاد قبضته إلى جانبه، وهو يقول :

— لا بأس بمزيد من الدماء يا سيدي ..

اتسعت عينا (سلوى) دهشة، حيناً استمعت لعبارة (نور)، فهي أكثر من يعرف كراهيته الشديدة للعنف

والدمار ، وإراقة الدماء ، ولكنها رأته يتعثر ويسرع ،
فينحني على جسد (رمزي) ، قائلا في جزع :
— يا إلهي !! لائمته يا إلهي .

أسرع الدكتور (حجازي) يانحس (رمزي) في اهتمام ،
ثم غمغم في جزع :

— يا إلهي !! إن الفتى يعاني سكرات الموت .

اتسعت عينا (سلوى) ذعرا ، وشخب وجه (محمود) ،
وغمغم (نور) في ذهول :

— الموت !!

ثم قفز نحو جهاز التليفديو ، وهو يصيح :

— يجب نقله في الحال إلى أقرب مستشفى .. يجب نقله
حتى ولو اضطررت إلى فك الحظر عن المنطقة .

حلت (شتاين) ذقنه وهو يتطلع من نافذة غرفته ، وقال
في لهجة تشق عن الخبرة والسؤال :

— عجباً !! هناك طائرة من نوع هليكوبتر الإسعاف

النفاثة ، تهبط في فناء هيئة الطاقة الذرية .. ماذا حدث
هناك يا ترى ؟

أسرع (دافيد) إلى النافذة يتطلع منها بدؤره ، وغمغم
في قلق :

— ربما أوقعوا برجلنا هناك أو ...

قاطعته (شتاين) في عصبية :

— مستحيل .. كل شيء تم إعداده بدقة بالغة .. لن
يجدوا دليلاً واحداً ضد (نادر) .

غمغم (دافيد) :

— ماذا حدث هناك إذن ؟

صاح (شتاين) في غضب :

— فليحدث ما يحدث .. فليقتلوا (نادر) ، المهم أن
نحصل على ما نبيى .

تقهقر (دافيد) خوفاً من ثورة رئيسه ، ولكنه لم يستطع
منع نفسه من أن يتصم في صوت مرتجف :

— ولكن .. الهليكوبتر النفاثة و

صرخ (شائين) في صوت هادر :

— قلت لك إن هذا لا يعينى .. فليحضروا ما يحلر لهم ، حتى لو أحضروا طائراتهم النووية و
وفجأة صر (شائين) عبارته ، وسرقت عيناه وهو يصيح :

— يا إلهي !! هذا الأمر يعنى الكثير .

انفجرت أسارير (دافيد) ، وهو يقول :

— ألم أقل لك ؟

أزاحه (شائين) بعيداً ، وهو يقول في حلق :

— لست أقصد ما تعنيه أيها الغيى .. إننى أغنى أن

هذا يوحى لى بوسيلة ممتازة لاستغلال الوقت .

قطب (دافيد) حاجبيه ، وهو يسأل :

— ماذا تعنى ياسيدى ؟

أشعل (شائين) سيجارته ، وهو يقول :

— أغنى أن الخطر المفروض على المنطقة ، يمنع الخروج

منها لا الدخول إليها .

تدلت فلك (دافيد) السفلى ، وهو يقول :

— وماذا يعنى هذا أيضاً ؟

ابتسم (شائين) في خبث ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته :

— يعنى أننا نستطيع استدعاء حوامة دبلوماسية من سفارتنا ، لنهبط فوق سطح المبنى ، وننقل إليها الصندوق الذى وضعنا فيه هذا العالم المصرى العجوز .. وأنت تعلم أن الحوامة الدبلوماسية مثل أرض السفارة بالضبط ، يعتبر القانون الدولى كليهما أرضاً تابعة للدولة المضيفة لا للدولة المضيفة ، واقتحام أيهما قد يؤدى إلى إشعال نيران حرب نووية لا هوادة فيها .

ابتسم (دافيد) ابتسامة بلهاء ، وهو يقول :

— لقد فهمت ياسيدى .. سنختصر المدة الباقية ،

لنضمن حصولنا على العالم المصرى .

نظر (شائين) في ساعته ، وابتسم وهو يضغط أزرار التليفديو ، قائلاً :

— نعم يا (دافيد) ، سنختصر نصف ساعة كاملة .

عاد وجه (دافيد) إلى تجهّته ، وهو يقول :

— وماذا لو أنهم توصّلوا إلينا قبل وصول حوامتنا ؟

ضحك (شتاين) في سخرية ، وهو يقول :

— اطمئن من هذه الناحية يا (دافيد) .. لقد أُعِدَّ كل

شئ بمنتهى الدقّة .. لن يمكنهم مطلقاً أن يعرفوا من نحن
ولامن أين آتينا .

— (شتاين جولدمان) و (دافيد بن زايين) .. ضابطا

مخابرات يتبعان دولتي .

قال (نادر) هذه العبارة ، في هدوء من يسلّم بفشل
مهمته ، وهو يمسح غيظاً من الدماء تسلّل خارج
الضمادات التي تغطّي وجهه ، فعاد (نور) يسأله في
توتّر :

— وأين يمكن أن نجدهما ؟

ابسم (نادر) في شحوب ، وقال :

— ألَمْ تقل بنفسك إنهما في البناية المجاورة ؟

سأله (نور) في جدّة :

— في أي طابق ؟ وفي أي شقة ؟

أجاب (نادر) في سرعة ، وكأنه يخشى ثورة (نور) :

— في الطابق التاسع .. الشقة رقم تسعين .

صاحت (سلوى) :

— لَمْ يعد أمامنا سوى ثلاث وعشرين دقيقة

يا (نور) .. لابدّ أن نسرّع بمنعهم .

تتهّد (نور) ، وهو يقول :

— سنفعل يا عزيزتي ، ولكن بعد أن نُعِدَّ الخطة

مضمونة .

ثم انضت إلى (نادر) ، وقال في برود :

— ولتعلم أيها الوغد أن حياتك ستعلّق بنجاة

(رمزي) .. فلو أنه لقي نحيب ، فسأجعلك تكره كل لحظة

من العام الذي قضيته تعمل هنا .

أشار (محمود) فجأة إلى الخارج ، وهو يقول :

— هناك حوامة تقترب من المبنى المجاور أيها القائل ..

إنها تحمل شعار الدولة التي ينتمي إليها هذا الجاسوس .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يقول :

— يا إلهي !! هذا يغيّر الأمر تماما .

واختطف مسدسه الليزرى ، وهو يصيح :

— أسرعوا يارفاق .. لابد أن نلحق بهؤلاء الأوغاد ، قبل

أن يُتموا عمليتهم القذرة .. أسرعوا .



٨ — الهجوم ..

قالت (سلوى) فى صوت لاهت من شدة الانفعال ،

وهى تبص (نور) و (محمود) والدكتور (محمد العفيفى) ،

إلى سطح المبنى المجاور :

— ماذا تنوى أن تفعل يا (نور) ؟ .. إن الهجوم على

حؤامة دبلوماسيّة تابعة لدولة أجنبية ، يمكن أن يقيم حرباً

نووية .

صاح (نور) ، وهو يرتقى الدرج الأخير :

— ولكن إطلاق الأشعة على جاسوسين ، لا يؤذى

إلى ذلك يا (سلوى) .

صاحت فى دهشة تخرج بالفزع :

— (نور) .. ماذا تقول ؟ .. لقد تغيرت كثيراً .

وفى تلك اللحظة .. سمع الجميع صوت محرّكات

الحؤامة وهى تدور ، استعداداً للانطلاق ، فصاح الدكتور

(محمد) :

— أسرع أيها الرائد .. إنهم ينطلقون .

قال (نور) ، وهو يحاول معالجة مزلاج الباب المؤدى إلى السطح في يأس :

— هذا الصوت يعنى استعداد الحوامة للانطلاق ، لا انطلاقتها بالفعل يا دكتور (محمد) .

ثم لم يلبث أن صاح في حق :

— يا هؤلاء الأوغاد !! لقد أغلقوا المزلاج الإلكتروني خلفهم .

وابتعد بضع خطوات ، وهو يصوب مسدسه الليزرى إلى المزلاج صائحا في رفاقه :

— ابتعدوا قليلا .. سأحطم هذا المزلاج اللعين .

وانطلقت من أبواب مسدسه دفعة من الأشعة ، ذاب لها المزلاج ، واندفع (نور) يزعج باب السطح ، ويقفز إلى هناك ..

كان الجاسوسان (شتاين) و (دافيد) قد اتجها من وضع الصندوق الذى يحوى العالم المصرى في الحوامة ،

ولكنهما لم يتخذا مقعديهما داخلهما بعد ، حينما اندفع (نور) إلى السطح ، وخلفه رفاقه ، فصاح (دافيد) في رعب :

— يا للشيطان !! لقد لحقوا بنا يا سيدي .. لقد ..

وبتر عبارته التى امتزجت بصراخ يحمل الألم والدعر ، عندها احترقت أشعة (نور) ساقه اليسرى ، ولكن (شتاين) أسرع يتزعج مسدسه الليزرى ، ويطلق منه ثلاث دفعات متوالية .. وقفز (نور) جانبا يرشاقه المكتبة من تدريبات اغابرات ، ولكن رفاقه لم يكونوا قد تلقوا تدريبات مماثلة ، لذا فقد تلقى (محمود) دفعتين من الأشعة في صدره ، وجانب عنقه ، وأطلق صيحة ألم وهو يهوى أرضا ، على حين احترقت الدفعة الثالثة ذراع (سلوى) ، التى أطلقت صرخة عالية تشجر لها الغضب في نفس (نور) ، قصرخ في غيظ :

— أيها الأوغاد .

وانطلقت من مسدسه دفعة أطاحت بمسدس (شتاين) الذى تحرك في سرعة عجيبة ، فقفز داخل الحوامة صائحا :

— انطلق أيها الطيار .. انطلق بنا بعيداً .

صاح الدكتور (محمد) :

— رباه !! إنهم يهربون .

ولكن (نور) أطلق أشعته محطّماً انحرّك النفاث
للحواصة ، التي خرج منها صوت يشبه زفير الأسد ، قبل أن
تتوقّف تماماً ، ويسود صمت مرعب ، انطلق بعده صوت
(شتاين) صارخاً :

— حذار أيها الشرطي .. لو أطلقت دفعة واحدة من
مسدسك ، فستشعل حرنًا نووية بين دولتنا .

تجاهل (نور) التحذير ، وصوّب مسدسه إلى
(شتاين) ، الذي شحب وجهه وغباً .. ولكن الدكتور
(محمد العفيفي) أسرع يتعلّق بذراعه ، قائلاً :

— كفى أيها الرائد .. لقد منعت حواصيتهم من
الإقلاع ، وهذا وحده يكفي لإثارة أزمة دبلوماسية .. ثم إن
ما يقوله هذا الوغد صحيح للأسف .

استوعب عقل (نور) الأمر بسرعة ، فأوحى مسدسه ،

واستدار يسرع الخطأ نحو زوجته و (محمود) ، ولكن
(سلوى) صاحت في ألم :

— ذغك منى يا (نور) .. لن يقتلنى جرح في
ذراعى .. حاول إسعاف (محمود) .

أسرع (نور) يفحص جراح (محمود) في جرح ، ثم لم
يلبث أن غسغم :

— يا إلهي !! لقد أصيب في موضع القلب تقريباً ..
إن دمائه تنزف بغزارة .. وعنته كذلك ..

وفي تلك اللحظة .. ظهر الدكتور (حجازي) على
الباب المؤدى إلى السطح ، واندفع دون أن ينطق بكلمة
نحو جسد (محمود) ، وفحصه في سرعة ، ثم قال :

— هذا الفتى سيلفظ أنفاسه الأخيرة ما لم ينقل فوراً
إلى قسم الرعاية المركزة .

تهض (نور) واقفاً في صمت ، ينظر إلى الحواصة
الأجنبية ، وقد ارتسمت على ملامحه أقصى علامات
الغضب والحزن والكراهية ، وسمع الدكتور (محمد
العفيفي) وهو يقول :

— يا للهول !! هل سنظل نتألمهم هكذا ، دون أن
تقدر على منعهم ؟

استمر (نور) على صمته بضع لحظات ، ثم قال في
صوت يفيض بالكراهية :

— كلاً يا دكتور (محمد) .. إننا لن نسمح لهم بهزيمتنا
على أرضنا .

تردد الدكتور (محمد) لحظة ، قبل أن يسأله :

— وماذا سنفعل أيها الرائد ؟

استدار إليه (نور) ، وأمسك كفيه في قوة ، وقال في
صوت خافت ، وهو يضغط كل حرف من حروف
كلماته :

— اسمعني جيداً يا دكتور (محمد) .. هل تعرف
(مشيرة محفوظ) ؟

نظر إليه الدكتور (محمد) في دهشة ، وقال :

— إذا كنت تقصد مذبحة أبناء القيدوي ، فأنا أعرفها
بالتأكيد .

قال (نور) في حزم :

— سعمل ما سأخبرك به إذن .. سنصل أولاً بالمركز
الإسعافي ، لنقل (محمود) وعلاجه ، ثم نصل يد (مشيرة)
وستخبرها بما سألني عليه عليك الآن .

وضع قائد الحوامة الأجنبية سبابه على زر الاتصال ،
ثم التفت إلى (شتاين) ، الذي ينقث دخان سيجارته في
عصية ، وقال :

— سترسل السفارة حوامة ثانية ياسيدي ، ولكن
كيف ننتقل إليها ؟ .. أنت تعلم أنه بإمكانهم اصطيانا في
أثناء خروجنا من هذه الحوامة ، فالمسافة التي ستفصل
الحوامتين تعد أرضاً مصرية .

قذف (شتاين) بقايا سيجارته من نافذة الحوامة في
عصية ، وهو يقول :

— اطمئن أيها الطيار .. لقد أغددت لكل شيء
غذته .. إننا نطأ أرضاً مصرية بأقدامنا .. ستلتصق بباب
حوامتنا الحوامة الأخرى ، حتى يمكننا العبور إليها مباشرة .

ساد الصمت لحظات ، تأمل (شتاين) خلالها هليوكيتر
 الإنعاف ، وهي تحمل جسد (محمود) ، والخوامة المصرية
 التي هبطت على بعد أمتار قليلة منهم ، ثم قال وهو يشعل
 سيجارته العاشرة منذ دخوله إلى الخوامة :
 — يبدو أن المصريين يُعدّون أمراً ما .. لم أكن أودّ أن
 تنتهي المهمة بهذا الشكل المكشوف .

قال الطيّار في تردّد ، وهو يراقب الموقف بدوره :
 — لماذا لا نسلّمهم رجلهم ياسيّدى ؟

صاح (شتاين) في غضب :

— ماذا تقول أيها الأحق ؟ .. سنحصل على صيدنا
 مهما كان الثمن .. ألا تدري أنهم لا يستطيعون إثبات
 وجود الذكور (حسن) بخورتنا ، إلّا إذا دمّروا الخوامة أو
 اقتحمروها بالقوة .. وهذا ما يحاولون تحجّبه .
 قال الطيّار :

— ألا يمكنهم أن يشهدوا بذلك ؟

ضحك (شتاين) في توتر ، وقال :
 — سنكر ذلك بالطبع ، وسنقول إن الأمر ملفّق ..
 إن إثبات ذلك مستحيل أيها الرجل .. صدّقنى .. مازلتنا في
 الموقف الأقوى .

اتّسم الطيّار ابتسامة معترّة ، وقال وهو يشير إلى
 السماء :
 — بالطبع ياسيّدى .. وها قد وصلت خوامتنا
 الثانية .. لقد انتصرنا ياسيّدى .



٩ - مطاردة في السماء ..

شعر (نور) بحق بالغ عملاً نفسه ، عندما هبطت الحوامة الأجنبية الثانية فوق سطح المبنى ، وحرص قائدها على أن يهبط في مهارة ، ملاصقاً الحوامة المعطلة تماماً .
فالتفت (نور) إلى الدكتور (محمد العفيفي) ، وسأله :
— هل أبلغت (مشيرة محفوظ) الرسالة ، كما سمعتها مني قداماً ؟

قال الدكتور (محمد العفيفي) :
— نعم أيها الرائد ، وإن كنت لم أفهم ما نويته بالضبط .

تعلقت (سلوى) بذراع (نور) ، وتوحت بذراعيها المصابة ، وهي تقول في ضيق :

— هل نويت ضمّ (مشيرة محفوظ) إلى الفريق يا (نور) ؟

تجاهل (نور) الغيرة الواضحة في صوتها ، وقال في أسف .
— فلندع الله أن يعود الفريق قريباً يا (سلوى) .
اقترب منه في هذه اللحظة ، الملازم قائد الحوامة المصرية ، وقال بعد أن أدّى التحية العسكرية :
— لن يمكننا اصطيادهم أيها الرائد ، إن الحوامتين متلاصقتين تماماً .

غمغم الدكتور (محمد العفيفي) في حلق :
— لو أن الأمر يبدى ، لأطلقت أشعري عليهم ، متجاهلاً قواعد القانون الدولي .

قال (نور) في هدوء :
— وكنت ستفقد حقوقك فور ذلك يا دكتور (محمد) .
ثم صمت لحظة ، وعاد يردف :
— مع أنه بإمكانك فعل ذلك ، وضمان حقك في الوقت نفسه .

سأله الدكتور (محمد) في دهشة :
— كيف أيها الرائد ؟

قال (نور) في هدوء :

— دُعِ ذلك لي يا دكتور (محمد) ، وثق أن هؤلاء
الأوثاد لن يهزمونا على أرضنا مطلقاً .

فهمه (شتاين) في فرح جنوني ، وهو يدق بكفيه في
انفعال ، على الصندوق الذي يحوى جسد الدكتور
(حسن) ، وصاح وهو يهيم بمعانقة قائد الحوامة المعطلة :

— لقد نجحنا يا رجل .. نجحنا ونقلنا صيدنا إلى
الحوامة السليمة .. سنطلق على الفور إلى سفارتنا .

قال قائد الحوامة الجديدة في قلق ، وهو ينظر إلى الجنود
المصريين ، الذين تجمعوا فوق سطح المبنى حول الحوامة
المصرية :

— وددت لو شاركتك ثقتك هذه بالنصر يا سيّد
(شتاين) ، ولكن ما أراه لا يبشر بالخير .

ضحك (شتاين) ، وقال وهو يربّت على كتف الطيار
الجديد :

— اطمئن يا صديقي .. إننا نعدّ في أرضنا داخل
حوامتنا هذه ، ولن نغادرها إلّا في أرض سفارتنا ، وأنت تعلم
أن القانون الدولي يعلّمها أرضنا أيضًا .
ثم اضطجع في مقعده ، وأشعل سيجارته ، وهو يقول في
ثقة الفرد بها :

— هلمّ يا رجل .. انطلق بنا في اطمئنان .. لقد
انتصرنا .

بدأت محركات الحوامة الأجنبية تدور ، فأسرع (نور)
نحو قائد الحوامة المصرية ، وقال في لهجة آمرة :

— اهبط يا صديقي .. سأحصل على هذه الحوامة ،
باسم اخبارات العلمية .

هزّ قائد الحوامة كفيه وهو يهبط ، سائلًا (نور) في
هدوء عجيب :

— هل تحمل تصريحًا بقيادتها ؟

أدار (نور) محركات الحوامة ، قائلاً في اختصار :

— بالطبع .

ولم تكذ الحوامة الأجنبية ترتفع حتى ارتفعت خلفها
حوامة (نور) في مهارة ، ظهرت واضحة في نظرات
الحاضرين ، وقالت (سلوى) في قلق :

— أرجو من الله (سبحانه وتعالى) ، ألا يتجاوز (نور)
مقدرته في قيادة الحوامات .. إنه حينما يتحمس لأمر ما فإنه ..
قاطعها قائد الحوامة المصرية ، قائلاً :

— اطمئني يا سيدتي .. لو أنني أنا الذي أقودها ،
ما كنت أكثر مهارة .

وفي اللحظة نفسها ، صاح قائد الحوامة الأجنبية في
تأثر :

— إنهم يطاردوننا يا سيد (شتاين) .

ابسم (شتاين) في هدوء ، وقال :

— فليفعلوا ما يريدون يا رجل .. قلت لك إننا انتصرنا .
ثم اعتدل ، ونفث دخان سيجارته ، وهو يستطرد :

— زد من سرعتك ، حتى نصل إلى سفارتنا في أسرع

وقت ممكن ، لقد أوحشني علينا ذو النجمة السودانية .

قال الطيار بصوت يشف عن القلق :

— إنني أنطلق بأقصى سرعة بالفعل .

صاح الطيار الآخر في فرح :

— ها هو ذا علم سفارتنا .. لقد وصلنا يا سيد (شتاين) .

صرخ (شتاين) في فرح ، وأخذ يصفق بكفيه

كالأطفال ، ولكنه فوجئ بجسده يميل فجأة ، حتى كاد

يسقط من مقعده ، فصاح في غضب :

— ماذا تفعل أيها الأحمق ؟ .. هل تظن نفسك في مناورة

حربية ؟

صاح الطيار ، وهو يتشبث بعصا القيادة :

— إنه هذا الضابط المصري .. لقد اعترض طريقنا ..

إنه يحاول منعنا من الهبوط في السفارة .

تشبث (شتاين) بمقعده ، وهو يغتم في ذهول :

— يحاول منعنا ؟

ولكنه لم يلبث أن صاح في غضب :

— هذا ليس من حقّه .. ليس من حقّه ..
 ووضع يده على كنف الطيّار ، قائلاً في شراسة :
 — لقد شاهدته الجميع يعرض حوامتا الدبلوماسية ..
 لقد جعل موقفنا سليماً .. أطلق مدافع الميزر عليه ..
 حطّمه ولا نخش شيئاً .



انطلق عمودان من أشعة الليزر الفتاكة، من المدفعين المشين في مقدمة الحوامة الأجنبية، واحترقا سماء القاهرة، في طريقهما نحو حوامة (نور)، ولكنه انحرف في مهارة، مخاطرًا باتخاذ مسار عمودي مفاجئ، ثم عاد يدور دورة أفقية ماهرة، ليعرض طريق حوامة (شتاين)، التي اضطرت إلى الابتعاد عن سفارتها للمرة الثانية .. وعاد قائدها إطلاق مدافع الليزر على حوامة (نور)، الذي هبط في هذه المرة بصورة حادة، وعاد يرتفع بعد تجنبه شعاعى الليزر، ليحرق بحوامته أمام الحوامة الأجنبية، ثم ينقض عليها في مبادرة مذهلة، أربكت قائدها، فدار بحوامته حول نفسها، ولم يسمع صوت الصرخات التي انطلقت من أفواه المارة في شوارع المدينة، ولكنه سمع صوت صرخة (شتاين)، وهو يقول :

— اقله .. لا تسمح له باعتراض حوامتنا .. هذا ليس من حقّه .. اقله ..

عادت مدافع الليزر تطلق أشعتها، وتقادها (نور) أيضًا هذه المرة في مهارة، وهو يغمغم :

— حان وقت رد الاعتداء أيها السادة، ولنر من منا أكثر جرأة ومهارة ..

ثم دار بحوامته وقد تحوّل الأمر إلى دوران مستمر، وأطلق مدفعي الليزر بحوامته، وشاهد الشعاعين الزرقاوين، يشقان الهواء، ويرتطمان بالتحرك الخلفى للحوامة الأجنبية، فطائر أجزاءه، وتفتقد الحوامة أجزائها، فتدور حول نفسها بشكل مربع، وفي داخلها صرخ (شتاين) :

— افعل شيئاً أيها الطيار .. حاول أن تهبط في فناء السفارة ..

قال الطيار في لهجة لا تقل قلقاً عن (شتاين) :

— لم يعد لدينا الخيار يا سيّد (شتاين) .. منهبط على الرغم منّا في الشارع المواجه للسفارة .. لقد أجبرنا هذا الضابط المصرى اللعين على هذا ..

فقر (شتاين) فاه ، وبدت البلامة على ملامحه لحظة ،
انهار بعدها فوق مقعده قائلاً :

— ليكن .. إنه لن يجرؤ على اقتحام حوامتنا دون
شهود .. إنه لن يجرؤ .

هبطت الحوامة الأجنبية مرغمة في الطريق ، على بعد
عشرة أمتار من بوابة السفارة ، على حين تعمّد (نور)
المحيط بحوامته عمودياً ، حيث استقرت في المسافة بين
الحوامة الأجنبية والسفارة ، واحتشد الطريق بجميع من
الناس ، في نفس اللحظة التي قفز فيها (نور) من حوامته ،
شاهراً مسدسه الليزرى ، وانطلق نحو الحوامة الأجنبية .

اختطف (شتاين) مسدس الطيار ، ودفع باب
حوامته ، وصوب مسدسه إلى (نور) ، وهو يصيح في
جنون :

— لقد بدأت بالاعتداء أبها المصرى ، وبحق لي قتلك ..
وفجأة وبحركة سريعة ماهرة ، رفع (نور) مسدسه
الليزرى ، وأطلق منه دفقة أشعة ، أطاحت بمسدس

(شتاين) ، وأخرى اخترقت كصف هذا الأخير ، الذى
أطلق صرخة تجمع بين الألم والخوف والذهول ، وهو يسقط
على ظهره ..

وقبل أن يدرك أحد ما حدث ، أطلق (نور) دفقة
أخرى ، اخترقت زجاج الحوامة ، وحطمت جهاز
الاتصال ، الذى رفعه الطيار ، ثم اندفع (نور) إلى الحوامة
الأجنبية ، ودفع (شتاين) جانباً في قسوة وهو يقفز
داخلها ، وتفاذى لكمة قوية وجهها إليه قائد الحوامة
الأجنبية ، ثم كال له لكمة ساحقة ، سقط الرجل إثرها
متأولها متألماً ، على حين رفع الطيار الآخر ذراعيه ، وهو
يصرخ في ذعر :

— إننى أستسلم .

وصرخ (شتاين) ، وسط المرح الذى ساد المكان :

— ليس هذا من حقلك .. ليس من حقلك .

ولكن (نور) تجاهل صراخه ، وهو ينهمك في فتح
الصندوق الضخم .. ولم يكد بصره يقع على الدكتور



(حسن) ، ولمح صدره يعلو ويهبط بأنفاسه المترددة ، حتى
تنهد في ارتياح ، والفت إلى (شتاين) ، قائلاً في سخرية :
— سأخرج الدكتور (حسن) أولاً ، ثم نتناقش في
المنبوعات يا جاسوس العلم .
صرخ (شتاين) في جدة :
— لقد ارتكبت خطأ رهيباً باقتحامك حوأمنا أيها
المصري .. سفصل من وظيفتك .
جل (نور) جسد الدكتور (حسن) ، ومدده على
الأرض خارج الحوامة في هدوء ، ثم انتصب ومسح العرق

المنصب على جبينه ، وأشار إلى الدكتور (حسن) ، قائلاً
في صوت هادر :

— إنكم تختطفون علماءنا يا سيّد (شتاين) .. ألا
يقعد هذا عملاً عدوانياً .

صرخ (شتاين) ، وهو يكم براحته الذم المتدفق من
جرحه :

— ليس لديك دليل واحد أيها المصري .. عليك أن
تثبت أنك أخرجته من حوأمنا .

ابتسم (نور) ، وقال :

— وماذا عن شهود المطاردة ؟

صاح (شتاين) :

— كلهم من المصريين وأعضاء سفارتنا .. سنقول إنها
مؤامرة من قبل المصريين لإخراجنا دولياً ، ولن ينطق أعضاء
سفارتنا بكلمة واحدة .

أثعت ابتسامة (نور) ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى
قهقهة عالية ، وتظر إليه (شتاين) والطباران في دهشة ،
وصرخ الأول في غضب :

— ماذا يضحكك بحق السماء ؟

أشار (نور) إلى فتاة جذابة تقف على بعد أمتار قليلة منه ، وقال :

— هل تم كل شيء بحسب اتفاقنا يا (مشيرة) ؟

اقتربت منه الفتاة ، قائلة في هدوء :

— كل شيء أيها الرائد .. على أهواء مباشرة ..

وبالتوزيع العالمي المجسم .

تدلت فك (شتاين) السفلى في بلاهة وهو يغمغم :

— ماذا يعنى هذا ؟

أوما (نور) بيده تجاه الفتاة ، وقال في هدوء :

— نسيت أن أقدم لك زميلتى يا سيد (شتاين) ..

(إيما تدعى) مشيرة محفوظ ، صاحبة أشهر تحقيقات أنباء

(الفيديو) ، وهى أشهر صحفية في مجال الصحف المرئية ،

يذاع برنامجها على موجات بث القمر الصناعى المجسم ،

بالألوان الطبيعية المجسمة ، في خمسين دولة على الأقل ، منهم

دولتك للأشرف .

بدا بوضوح من امتقاع وجه (شتاين) أنه فهم كل شيء ، على حين استطرد (نور) في هدوء :

— وهكذا شاهدت هذه الدول الخمسون ، وعلى

الهواء مباشرة من خلال أجهزة (الهولوفيزيون) المجسمة ، كل

ما حدث يتنا ، منذ غادرنا سطح المبنى الجاور هيئة الطاقة

الذرية ، وحتى هذه اللحظة .. كل ما حدث يا سيد

(شتاين) حتى إخراجى الدكتور (حسن) فاقد الوعي من

حزامتكم .. لقد أصبح لدينا ملايين الشهود على فعلتكم

الذنية يا سيد (شتاين) .

تحول وجه (شتاين) إلى الشحوب الشديد ، وشعر

بعضة في حلقه تمنعه من النطق ، ولكنه لم يلبث أن تغلب

عليها مغمغما :

— كل شيء ؟!

قال (نور) في هدوء وصرامة :

— كل شيء يا سيد (شتاين) .

ثم أردف في قسوة :

— لقد هُزمتُم أيها الوغد .

فوجئ (نور) بـ (مشيرة) ، تقول في صوت خافت :

— لقد هُزمتُمَا يا (نور) .

الفت إليها ، وسألها في دهشة :

— ماذا تعنين يا (مشيرة) ؟

قالت في هدوء ، وهي تشير لزملاتها بإيقاف

التصوير :

— أغنى أن رؤساءك لن يعجبهم هذا أيها الرائد .

وأردفت في لهجة تحمل رلة الأسف .

— سيحدث هذا مع الأسف .



١١ — الختام ..

— هل تظن نفسك نجما سينأيا أيها الرائد ؟

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية هذه العبارة ، في جدة وغضب أدهشا (نور) ، الذي ارتفع حاجباه عالياً وهو يغغم :

— ولكننا نجحنا في إنقاذ عالمنا ياسيدى و

قاطعته القائد الأعلى ، صالحا في غضب :

— بل قل إنك صنعت أكبر فضيحة دبلوماسية ، في

القرن الحادى والعشرين أيها الرائد .. لقد جعلت العالم كله

يرى كيف أنهم نجحوا في إخراج عالمنا من هيئة الطاقة الذرية

أمام أعيننا .. لقد تصرفت تصرفا خاطئا أيها الرائد .

شعر (نور) بغضب عنيف يجتاح نفسه ، حتى أنه قال

في جدة :

— المهم أننا منعناهم في النهاية ياسيدى .. ولقد بذلنا

في سبيل ذلك كل ما بقدرتنا .. إن (رمزي) ما زال فاقد الوعي ، في قسم الرعاية المركزة بالمستشفى ، و (محمود) في حالة من الخطورة ، حتى أنه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، وزوجتي أصيب ذراعها و

قال القائد الأعلى في حدة أكبر :

— كفى أيها الرائد .. لقد تجاوزت حدودك ، ولن نسمح لك بأكثر من ذلك .

وأشاح بوجهه بما يعنى انتهاء المقابلة ، وهو يقول في برود :

— لقد أصدرت أوامري بنقلك إلى شرطة القضاء أيها

الرائد .

مط (نور) شففيه ، وهو يشعر بحرق بالغ يملأ نفسه ، ولكنه بالرغم من ذلك ، رفع يده بالصيحة العسكرية ، ودار على عقبيه نصف دورة ، ثم تحرّك في خطوات ثابتة ، وغادر مكتب القائد الأعلى .

هزّ الدكتور (محمد حجازي) رأسه في أسف ، وقال في

لهجة أقرب إلى الازمزاز :

— شرطة القضاء !! يالندخالات السياسة اللعينة .

حرّك (نور) كفيه بشكل يشف عن اللامبالاة ، وهو

يقول :

— هذا لا يهم يا دكتور (حجازي) .. إن الشرطي يقوم

بواجبه في كل مكان .

ثم تحوّلت لهجته إلى الاهتمام ، وهو يستطرد :

— المهم هو كيف حال (رمزي) و (محمود) ؟

صمت الدكتور (حجازي) طويلاً ، ثم قال :

— حالهما غير مطمئن للأسف يا ولدي .. مازالا

يصارعان الموت في يأس .

سالت دمة ساخنة على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

— فلندع الله أن يهبهما الشفاء .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (سلوى) في محاولة لتغيير

الحوار :

— هل تتصوّر أنني حتى الآن لم أعلم ما كشفته في

البقايا المخرقة يا دكتور (حجازي) ؟

أوماً الدكتور (حجازى) برأسه ، قائلاً :
— هذا صحيح يا بنى ، فالأمور لم تَسْرَ منظمة
متأسفة هذه المرة .

سأله (نور) :

— هلاً أخبرتنا الآن بما وجدت يا سيدى ؟

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

— لقد كشفت أن تلك الساق قديمة ، مرّ على وفاة
صاحبها ثلاثة أيام على الأقل ، ولكنها خُفظت بطريق
التجهيد ، ثم أحرقت أطرافها المقطوعة حديثاً .

ابتسم (نور) ، وقال :

— كان هذا كفيلاً بكشف الأمر على الفور .

وافقه الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

— لهذا حاول (نادر) التخلص منى ، لولا تدخلكم

يا (نور) .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

— هل تؤمن بالنشأوم يا دكتور (حجازى) ؟

نظر إليه الدكتور (حجازى) و (سلوى) فى دهشة ،
وسألاه فى آن واحد :

— ما معنى سؤالك هذا يا (نور) ؟

ابتسم ابتسامة جافة ، وهو يقول :

— إنها المرة الأولى التى ينكشف فيها المحرم قبل أن
أتوصل إليه ، ولقد استيع ذلك مجموعة من الحوادث
المؤسفة ، فأصبحت أنت يا دكتور (حجازى) ، وكبدت
تلقى حتفك ، وما زال (رمزى) و (محمود) يصارعان
الموت ، و (سلوى) أصيبت ذراعها ، وأنا نقلت من
التحريات العلمية إلى شرطة القضاء ، وعزّيت — لأوّل
مرة — على انتصارى .. ماذا يكون النشأوم إن لم يكن
كذلك ؟

ضحك الدكتور (حجازى) ، وقال :

— يا إلهى !! هل تؤمن حقاً بما تقول يا (نور) ؟ لقد
ظننتك أقوى من ذلك كثيراً .

استمت (سلوى) فى خيـث ، وقالت :
— لا تصدقـه يادكتور (حجازى) .. إلسـه يمـرح
أور يتظاهر بالضـعف .

ضحك الدكتور (حجازى) ، وقال :
— اطمئنى يابـنىتى .. إبنى أعرف (نور) جيـذا ..
فهرغم المحنة التى يمرُّ بها ، ما زال — فى رأى — أعظم رجل
شرطة أنجيتـه مصر ، وإن ما يدور فى قلبه الآن لا يعدو مجرد
نار باردة ، سيمحوها فجر قريب بإذن الله .

* تمت بحمد الله *